Issn:2437-0967 مجلة اللغة الوظيفية المجلد9،العدد1 2022

الأسلوبية العربية – دراسة تحليلية ونقدية –

Arabic stylistics - an analytical and critical study–

د. كمال جبار * (1)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (قسنطينة)

البريد الإلكتروني: Kdjebbar123@gmail.com

تاريخ الإرسال:2022/01/23	تاريخ القبول:2022/04/04	تاريخ النشر:2022/06/10

الملخص:

يحلل المقال مسار الأسلوبية العربية ، ويتتبعها تاريخيا، ويتطرق إلى اتجاهاتها ، ويهدف إلى تقديم رؤية عن المصنفات الأسلوبية الغربية والعربية.

ويريد الإجابة عن التساؤلات التالية: ما هي المنابع الحقيقية للأسلوبية العربية؟ ، ما هو دور المصنفات الغربية والعربية في بناء الأسلوبية فكرا ومنهجا؟ ، ما هي أبرز اتجاهات الأسلوبية الغربية والعربية؟ وما هي خصائصها؟، ماهي الانتقادات التي وجهت لاتجاهات الأسلوبية؟، وسلك مقالنا درب المنهج الوصفي الذي أردف إليه المنهج التاريخي .

وقد اشتمل على تمهيد مناسب للموضوع المعالج، وتطرق بالتفصيل إلى نقطتين أساسيتين هما: تعريف الأسلوبية عند الغربيين أولا؛ ثم عند العرب ثانيا؛ وحلل الاختلاف الحاصل في تسمية العلم عند العرب؛ وبحث عن أسبابه، ثم تطرق إلى اتجاهاتها عند الغربيين والعرب ؛ وعرض الانتقادات التي وجهت إلى كل اتجاه.

الكلمات المفتاحية: الأسلوبية العربية ؛ دراسة نقدية ؛ المنهج الوصفي ؛ المنهج التاريخي ؛ المصنفات العربية.

الملخص باللغة الأجنبية :

The article analyzes the course of Arab stylistics, traces it historically, and addresses its trends, and aims to provide a vision of Western and Arabic stylistic works.

He wants to answer the following questions:

- What are the real sources of Arabic stylistics?

* المؤلف المرسل

- What is the role of Western and Arab works in building stylistics as an ideology and an approach?
- What are the most prominent Western and Arab stylistic trends? And what are its characteristics?

What are the criticisms leveled against stylistic trends?
Our article followed the descriptive method, which the historical method added.
It included an appropriate preface to the subject being treated, and touched upon in detail two main points: the definition of stylistics for Westerners first; Then with the Arabs secondly; He analyzed the difference in naming the flag among the Arabs; He searched for its causes, then touched on its trends among Westerners and Arabs; And presented the criticism directed at each direction.
Keywords: Arabic stylistics; critical study; Descriptive method; historical method; Arabic works.

مقدمة:

أدى تطور اللسانيات بعد صدور كتاب " دي سوسير " (دروس في اللسانيات العامة) سنة 1916م وذيوع أفكاره اللغوية ، و أشهرها الثنائيات على غرار: (ثنائية اللغة والكلام ؛ والدال والمدلول؛ و الدياكرونية والسياكرونية؛ ، وغيرها)، إلى ظهور مناهج نقدية مختلفة ؛ نظرت إلي الخطاب الأدبي نظرة متباينة على شاكلة : (المنهج البنيوي ؛ والمنهج السيميولوجي و غيرهما)، فوصفته وصفا علميا ؛ يبتعد عن المعيارية، وسبرت أغواره ؛ لتكشف أسراره ، وتبرز القيم الجمالية والجوانب الإبداعية فيه، ومن بين هذه المناهج المنهج الأسلوبي.

و يتتبع هذا المقال المسار التاريخي للأسلوبية عند الغرب والعرب ، ويرصد أبرز مدارسها، ويهدف من وراء هذا العمل إلى تقديم رؤية عن المؤلفات الأسلوبية الغربية والعربية ؛ التي تبرز خصائصهما وتبين جذورهما.

ويريد الإجابة عن التساؤلات التالية:

- **ما هي المنابع الحقيقية للأسلوبية العربية؟.**
- **ما هو دور المؤلفات الغربية والعربية في بناء الأسلوبية فكرا ومنهجا؟.**
- **ما هي أبرز اتجاهات الأسلوبية الغربية والعربية؟، وماهي خصائصها؟.**
- **ما هي الانتقادات التي وجهت لاتجاهات الأسلوبية؟.**

و قد سلك مقالنا مسلكا وصفيا، و استعان بالمنهج التاريخي ؛ فرضته طبيعة الموضوع المعالج ، واشتمل على مقدمة مناسبة، ثم تطرق بالتفصيل إلى نقطتين أساسيتين هما: تعريف الأسلوبية عند الغربيين أولا؛ ثم عند العرب ثانيا؛ وحلل الاختلاف الحاصل في تسمية العلم عند العرب؛ وبحث عن أسبابه، ثم تطرق إلى اتجاهاتها عند الغربيين والعرب على السواء؛ وعرض الانتقادات التي وجهت إلى كل اتجاه.

2. 1 تعريف الأسلوبية و تحديد مجالها:

عند استقرائنا للمفاهيم المختلفة للأسلوبية، نجدها تصب في مجموعات ثلاث، " مجموعة التعريفات التي ترد الأسلوب إلى المرسل[...]، وتعريفات ثانية تتركز حول الخواص الممثلة في النص ذاته بغض النظر عن قائله [...] ، و تعريفات ثالثة تحاول أن تمسك بالأسلوب بالنظر إلي الطرف الثالث في التواصل و هو المتلقي[...]" (فضل، (2002)، صفحة 88، 89)

فالأسلوبية عند " آريفاي " Michel Arrivé " وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات." (المرجع نفسه، صفحة 23) ؛ وهي عند بيار قيرو " بلاغة حديثة... إنها علم التعبير، وهي نقد للأساليب الفردية." (بيار قيرو، (1994)، صفحة 09) ، أمّا عبد السلام المسدي. فمصطلح الأسلوبية في نظره هو " البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب." (المسدي عبد السلام، (1982)، صفحة 33 ،34)، وهي عند رابح بوحوش " كلمة مركبة من وحدتين: الجذر: " Stylus " التي تعني أداة الكتابة، أو القلم في الأصل اللاتيني، ومن اللاحقة:"يّات " " Ics "، المكونة هي بدورها من الوحدة المورفولوجية " يّة " "Ic " التي تفيد النسبة، وتشير إلي البعد المنهجي و العلمي لهذه المعرفة. من " ات" " s " ؛ الدالة على الجمع. كل هذه الوحدات مجتمعة تشكل علوم الأسلوب. " (بوحوش رابح ، (د.ت)، صفحة 3)، ويرى جوزيف ميشال شريم الأسلوبية " تحليل لغوي موضوعه الأسلوب ؛ و شرطه الموضوعية ؛ و ركيزته الألسنية." (شريم ميشال جوزيف، (1987)، صفحة 37، 38)

واللافت أن هذه التعريفات المختلفة تشترك عند تحديدها لمدلول مصطلح الأسلوبية في موضوعية الأسلوبية، وارتكازها على المنهج اللساني.

والجدير بالذكر أن هذه التعريفات العربية التي أعطيت للأسلوبية لا تختلف عن تعريفات الغربيين أنفسهم، إنما يكمن الاختلاف في كيفية ترجمة مصطلح الأسلوبية ، فهناك فريق ترجمها باستخدام مصطلح " علم الأسلوب " كما نجد ذلك عند صلاح فضل؛ وفي (معجم مصطلحات علم اللغة الحديث) و(المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات)؛ و(قاموس المصطلحات الأدبية واللغوية)؛ و معظم الدراسات المصرية ؛ أو " علم الأساليب " ،كما يبدو عند الكتاب اللبنانيين؛ و منهم من رأى استعمال مصطلح " الأسلوبيات" ، كما فعل رابح بوحوش (ينظر: بوحوش رابح، صفحة 3) و المصطلح المتداول في الدراسات الأسلوبية، والذي يفضله الكثير من الدارسين هو " الأسلوبية ". (ينظر: وغليسي بوسف ، (2007)، صفحة 85)

ومهما يكن من أمر، وبغض النظر عن الاختلاف الحاصل بين الباحثين في ترجمة المصطلح الإنجليزي Stylistics ، فإن الأسلوبية استطاعت أن تشق طريقها بقوة وثبات في عالم يزخر بالمقاربات الفكرية و النقدية المتباينة حينا، و المتكاملة أحيانا أخرى ، وإن كان من يقول بموتها، ويعزى ذلك، لنظرتها الشمولية إلي الخطاب، ومنهجها العلمي الصارم الذي يعتمد الوصف الموضوعي، ويبتعد عن المعيارية وقدرتها على سبر أغوار أي خطاب على اختلاف الخطابات.

2 .2 تاريخ الأسلوبية الغربية والعربية:

ظهر مصطلح الأسلوبية على يد " فون ديرقابلنتز " سنة 1875م، وموضوعها هو دراسة الأسلوب من خلال الانزياحات اللغوية و البلاغية في الصناعة الأدبية. (ينظر : بوحوش رابح، الصفحات 12 –27)، ويذهب الدارسون إلى أن " الهزة القوية لبعض قواعد الأسلوب المعيارية جاءت على يد جورج بوفون (1707م –1788م) عند صدور عمله الموسوم " مقال في الأسلوب " الذي انتهى فيه إلى أن الأسلوب هو الرجل." (خفاجي، صفحة 12).

ويتفق الدارسون على أن مصطلح الأسلوب ظهر أولا قبل مصطلح الأسلوبية ، فإذا تتبعنا القواميس التاريخية في اللغة الفرنسية مثلا نجدها، " تصعد بالأسلوب إلى بداية القرن الخامس عشر، وبالأسلوبية إلى بداية القرن العشرين." (درويش أحمد، (1984)، صفحة 60) ؛ ولأن العلم سنته التطور الدائم ، فقد جاء العالم الفرنسي" جوستاف كويرتنج " عام 1886م ، ليعلن ميلاد علم الأسلوب، إذ قال:" إن علم الأسلوب الفرنسي ميدان شبه مهجور تماما حتى الآن، فواضعوا الرسائل، يقتصرون على تصنيف وقائع الأسلوب التي تلفت أنظارهم طبقا للمناهج التقليدية؛ لكن الهدف الحقيقي لهذا النوع من البحث ينبغي أن تكون أصالة هذا التعبير الأسلوبي أو ذاك وخصائص العمل أو المؤلف التي تكشف عن أوضاعها الأسلوبية في الأدب، كما تكشف بالطريقة نفسها عن التأثير الذي مارسته هذه الأوضاع" (خفاجي واخرون، صفحة 13)

و لم تظهر معالم الأسلوبية واضحة للعيان إلا بعد صدور كتاب " دي سوسير" بعنوان " دروس في اللسانيات العامة " (cours de linguistique générale) الذي نشره تلامذته شارل بالي و سيشهاي (C. Bally) et (SECHEHAYE) بعد وفاته سنة 1916م ، ولقد أثار هذا الكتاب إهتمام الدارسين وقتئذ؛ إذ اضطلع تلميذه شارل بالي Bally بإبداع الأسلوبية التعبيرية بعد إصداره لكتابين " محاولات في الأسلوبية الفرنسية " 1902م ، و " المجمل في الأسلوبية " 1905م ،و في سنة 1911 م ظهرت الأسلوبية الأدبية التي مهد لها " ليو سبتزر " Spitzer عن طريق دراسة قدمها عن " رابلييه " Rabelais " أوضح فيها العلاقة الوطيدة القائمة

بين العناصر الأسلوبية و العالم النفسي الوجداني للكاتب، وقد بين سنتي 1920م، و1925م أن الظواهر الأسلوبية المتكررة في عمل المبدع بانتظام مصدرها وجدانه ونفسه، ولا تعد مظاهر مرضية كما قال فرويد، ونستشف من هذا أن " ليو سبتزر" لم يتأثر بمدرسة فرويد النفسية، ويمكن أن نقف على ذلك بشكل جلي في كتابه " دراسات في الأسلوب "سنة 1928م ، و حاول "جيل ماروزو " فيما بعد سنة 1931م إرشاد الدراسات الأسلوبية إلي الاهتمام بالصناعة الأدبية والوقوف على قيمها الجمالية، فأقر على ضرورة أن تدرس الأسلوبية المظهر والجودة، الناتجين عن الاختيار بين الوسائل التي توفرها اللغة للمتكلمين.

وقد انطلق " رينيه ويليك " و " أوستين وارين " عند إقامتهما لنظرية الأدب سنة 1948م، في القسم المخصص للأسلوبية من فرضيتين هما: اعتبار اللغة مادة الأدب، وأن القصيدة تدل على طابع عصرها،و التي يمكن من لغتها التوصل إلي أثر الشاعر؛ فاقترحا لهذا الغرض علما جديدا أطلقا عليه " الأسلوبية المقارنة "، و في السنة نفسها برز إلي الوجود كتاب " ليو سبتزر" بعنوان " الأسلوبية و تاريخ الأدب " دعا فيه إلي معالجة النص الأدبي في ذاته وانتهى إلي أن البحث الأسلوبي هو الجسر الرابط بين الأبحاث اللسانية و الدراسات الأدبية. وقد سار بيار جيرو في هذا الاتجاه عند صدور كتابه " الأسلوبية " سنة 1945م عندما بين فكرة العلاقة بين البحث الأسلوبي و البلاغة والنقد (بوحوش رابح، الصفحات 12-27) ، لتعرف الأسلوبية قفزة نوعية مع صدور كتاب ليو سبتزر " الأسلوبية " سنة 1955م إذ وضح فيه أن كل عاطفة تفرز استعمال لغوي للتعبير عنها، و في المقابل كل انحراف في اللغة المستعملة هو مؤشر لحالة نفسية غير طبيعية. والتعبير اللغوي ما هو إلا إنعكاس لحالة نفسية متميزة، وتشهد الأسلوبية بعد هذه الفترة تحولا ايجابيا، حيث ينتقل الصراع من التصادم بين التيار الوصفي و التيار المثالي إلي إرساء قواعد الأسلوبية التي تجمع بين التنظير و التطبيق ، و قد سارت الندوة التي انعقدت في الولايات المتحدة في هذا الاتجاه سنة 1960م أين ألقى باكبسون Jakobson محاضرة عنوانها: " اللسانيات و الشعريات " ، وعالج فيها إمكانية قيام المصاهرة بين اللسانيات والصناعة الأدبية ،وتتأكد مكانة الأسلوبية وتستقر بترجمة " تودوروف " لأعمال الشكلانيين الروس إلي الفرنسية، وبعدها بسنتين 1967م ؛ يضع هذا الأخير قواعد الشعريات في كتابه " الصناعة الأدبية و الدلالة " ينطلق من هذا الأثر الأدبي ليستنبط العلاقة العضوية بين خطابية الأدب، وخصوصيته التركيبية، و يقيم حدود فلسفة منهجه النقدي ، ويتوج هذه الجهود " ستيفن ألمان " Stephen Ullmann " سنة 1969م بكتاب عنوانه " إشكالية اللسانيات و مناهجها "، ويعتبر فيه الأسلوبية علما لسانيا نقديا.و في السنة الموالية 1970م أصدر " فرديرك دي لوفر " كتابه " الأسلوبية و الشعريات الفرنسية " ينتقد فيه البحث الأصولي في منهجية العمل الأسلوبي.

و قد دفع " ريفاتير " Riffaterre الأسلوبية إلي الأمام عبر سلسلة من المقالات التي كان يخصصها لتحليل المعايير الأسلوبية. (عبد السلام المسدى، الصفحات 21-24) ، و قد نظر إلي الأسلوب على أنه خصوصية من خصوصيات الرسالة لا يوجد إلا في النص.

وإذا تتبعنا الأسلوبية عند العرب، فإننا نجدهم بعد إطلاعهم على الأسلوبية الغربية عن طريق الترجمة، نظروا إلي تراثهم الأدبي القديم، و البلاغي منه بصفة خاصة و عملوا على بعث الحياة فيه من جديد، متبعين خطى الأسلوبية الغربية، فظهرت إلي الوجود مجموعة كبيرة من الكتب في هذا الباب من أبرزها : " الأسلوب " وهو دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية " 1939م "،لأحمد الشايب، و حاول في بحثه هذا " وضع منهج جديد لعلم البلاغة العربية ، و اتخذ لذلك سبلا تبناها في خطابه و أهمها: (متابعة البحث في الموروث البلاغي وإعادة مدركاته، متابعة الحركة الأدبية في ناحيتيها: العلمية و الإنشائية، فصل ما أسماه بالأسلوب و ما يخصه في مباحث خاصة من ضمنها علوم البلاغة القديمة، و عزلها مستقلة عن ميدان دراسة الفنون الأدبية، بوصفها ذات وضع منهجي إجرائي، لغرض إتقان قواعد الدرس معرفيا." (الحربي فرحان بدري، (د.ت)، صفحة 68) و " فن القول "، لأمين الخولي (1947م) ، و استبدله بالبلاغة، وازن فيه بين البلاغة عند العرب و الأسلوبية عند الغرب ؛ و " الأسلوبية والأسلوب " لعبد السلام المسدي (1977م) ، " أعلن فيه ميلاد الأسلوبية بوصفها علما جديدا و حديثا في الوقت ذاته يختص بدراسة الأسلوب. و قد دعا إلي ضرورة الضبط المعرفي لأركانه بهدف فصل حدوده وتثبيت الفواصل العلمية لتلك الحدود مع العلوم الأخرى المجاورة ، فالأسلوبية بحسب رأيه: نظرية علمية نشأت بفضل تلاقح علم اللسان مع النقد الأدبي وقد انفصلت في مباحث خاصة عن اللسانيات ، واستقلت كذلك عن النقد الأدبي، وهي تتصف بالموضوعية في المعالجة و الابتكار؛ لتصوراتها النظرية، و هي بحسب رأيه بديل عن البلاغة الموروثة مستقل بأسسه المعرفية و موضوعاته المنهجية ؛ و ذلك يعنى أن مشروعه الأسلوبي يقوم على وضع الأسس المعرفية لهذه النظرية ؛ وكان خطابه قائما على منطلقين هما: العلمانية الفكرية، و الحداثة بمعنى المعاصرة". (المرجع نفسه، صفحة 124) ، و " اللغة و الأسلوب " لعدنان بن ذريل (1980م) اقتفى خطى المسدي وحاكاه وخصص القسم الثالث لقضايا الأسلوبية والأسلوب و " الأسلوب دراسة لغوية إحصائية " لسعد مصلوح، صدرت الطبعة الأولى منه عام (1980م) ؛ عن دار البحوث العلمية بالكويت ، وطبع سنة (1981م) في مطبعة حسان في القاهرة " سعى في كتابه هذا إلى وضع منهج أكاديمي يقوم على الإحصاء متوخيا الدقة العلمية في الدرس، وإن توجهه الأسلوبي لا يخرج عن دائرة التحليل اللساني للأدب، و قد خاض في بحث مشكلات الأسلوبية النظرية والتطبيقية، و هو يميل إلي التطبيق الاستكشافي لمبادئ النظرية الأسلوبية لإثبات صحتها. وإن المنهج

المتصف بالعلمية، و المتخذ من الأكاديمية دستورا له، يؤثر في فرض النظرية الأسلوبية على الواقع المعرفي الحديث و تتهيأ الدقة العلمية في التطبيق لهذا المنهج عن طريق الإحصاء. وهذا يعني أنه اختار منهجا واحدا من مناهج الأسلوبية و يحاول إشاعته وتبنيه في الثقافة العربية." (حربي فرحان بدري، صفحة 68)

وتستمر الأسلوبية العربية في إبداعها، وتطورها لتظهر سنة 1984م كوكبة من المؤلفات من أبرزها: " البلاغة والأسلوبية " لمحمد عبد المطلب ، " فكتابه هو محاولة لقراءة البلاغة الموروثة في ضوء معطيات الأسلوبية المعاصرة" (المرجع نفسه، صفحة 127) ، و صدور" مجلة فصول " مجلة النقد الأدبي المجلد الخامس العدد الأول /أكتوبر/نوفمبر/ ديسمبر؛ والذي خصص للأسلوبية، وبروز كتاب " علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته" لصلاح فضل سنة (1985م) ؛ و في السنة ذاتها ألف شكري محمد عياد كتابين الأول بعنوان: " اتجاهات البحث الأسلوبي "، والثاني: " اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي" ؛ ليستمر إثراء المكتبة العربية بهذه المصنفات التي شيدت صرح الأسلوبية العربية من الناحيتين التنظرية والتطبيقية، و نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر" دليل الدراسات الأسلوبية " لجوزيف ميشال شريم، و " النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق" لعدنان بن ذريل، " أسلوبية الرواية مدخل نظري" لحميد لحمداني، و "مقالات في الأسلوبية " لمنذر عياشي ، و "خصائص الأسلوب في الشوقيات" لمحمد الهادي الطرابلسي وغيرها.

3 . أبرز المدارس الأسلوبية:

3. 1 الأسلوبية التعبيرية Stylistique De L'Expression، أو الأسلوبية الوصفية Descriptive:

أسسها شارل بالي (1865-1947) ، والأسلوبية التعبيرية تدرس " وقائع التعبير من ناحية محتواها العاطفي." (فضل صلاح، (1998)، صفحة 18) ، ويعني بالمحتوى العاطفي للغة أن الفكرة حين تسبك في قوالب لغوية وتتحول إلى كلام، تمر بموقف وجداني معين مثل: التمني أو الترجي أو الأمر، أو النهي... الخ. وانتقد بالي التقسيم المألوف للظاهرة الكلامية إلى لغة الخطاب النفعي اليومي، ولغة الخطاب الأدبي اقترح تقسيما آخر للخطاب : ما هو حامل لذاته وغير مشحون ، وما هو حامل للعواطف و الانفعالات. وبناء على ذلك، فان هذا الاتجاه يدرس الوقائع المتعلقة بالتعبير اللغوي وآثارها على السامعين، وهي نوعان: الآثار الطبيعية: وهي وقائع، تدل على روابط كثيرا ما توجد بين الفكر والبنيات اللغوية التي تعبر عنه.مثل علاقة الأصوات ودلالاتها، والصور البلاغية ومعانيها، أو بعض الأنماط

البلاغية كالتعجب، والاستفهام، والنداء، والأمر، والقسم، والتأخير والتقديم، والحذف...وغيره. (بوحوش رابح، صفحة 32 ، 33)

و النقد الذي وجه لهذه الأسلوبية أن اهتمام بالي بالمحتوى العاطفي جعله لا يهتم بالجوانب الجمالية وتركيزه على اللغة المنطوقة صرفه عن الاهتمام باللغة الأدبية. وتصنيفه للإمكانات الكامنة أو المثارة في اللغة شده إلى دراسة " القوة التعبيرية في لغة الجماعة " دون الاهتمام بالتطبيقات الفردية لها.وكل هذا جعل دراسته الأسلوبية دراسة لغوية لا دراسة أدبية." (درويش أحمد، (1984)، صفحة 65)

3 .2 الأسلوبية البنيوية: (الأسلوبية الوظيفية):

وتنعت باللغة الأجنبية (**Stylistique Structurale**)، و تترجم أيضا بـ (الأسلوبية الهيكلية)، وقد وصفت بالوظيفية؛ لأنها ترى أن المصادر الحقيقية للظاهرة الأسلوبية تكمن في اللغة، وفي نمطيتها، وفي وظائفها؛ ولهذا لا يجوز تعريف الأسلوب خارج النص أو الخطاب. (ابن ذريل عدنان، صفحة 152) و اللافت أن الأسلوبية البنيوية تعد امتدادا متطورا لمذهب بالي في الأسلوبية الوصفية، كما تعد أيضا امتدادا لآراء دي سوسير الشهيرة التي قامت على التفرقة بين اللسان Langue ؛ و الكلام Parole. و هي تفرقة مهمة ؛ لأنها أشارت إلى وجود فرق بين دراسة الأسلوب بوصفه طاقة كامنة في اللغة بالقوة ويستطيع المؤلف استخراجها لتوجيهها إلى هدف معين، ودراسة الأسلوب الفعلي ذاته، أي: هناك فرق بين مستوى اللغة ؛ و مستوى النص.وقد أخذ هذا التفريق مصطلحات مختلفة في فروع المدرسة البنوية فجاكبسون Jakobson يدعو إلى التفريق بين: (رمز/ رسالة) (Code/ Message)، وجيوم Guillaume (لغة/مقالة) (*Langue/Discours*)، أما هيمسلف Louis Hjelmslev فيجعل التقابل بين (نظام/ نص) (*Système / Texte*)، وتشومسكي Chomsky (الكفاءة/ الأداء) (*Compétence /Performance*). وجميع هذه المصطلحات على اختلافها، تشف عن مفهوم متقارب في دراسة اللغة والأسلوب. (درويش أحمد، صفحة 66)

وتقرأ الأسلوبية البنيوية النص الأدبي قراءة شاملة متكاملة منتظمة ، وتدرس نظام العلاقات بين أنظمته المختلفة: (الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.)

وخلاصة القول، فإن " نتاج المدرسة البنائية من السعة بحيث لا يمكن الوقوف أمامه بالتفصيل الآن، لكننا نود أن نشير فقط إلى أنه إذا كان البنائيون قد تابعوا الخط العام للأسلوبية التعبيرية عند (بالي) و تابعوا أيضا المنهج الوصفي عنده، فإنهم تلافوا نقصا وقعت فيه مدرسة (بالي) حين قصرت

اهتماماتها على اللغة المنطوقة من ناحية، وحين أحجمت عن وضع تصوراتها موضع التطبيق من ناحية ثانية." (درويش أحمد، صفحة 66)

أمّا النقد الذي وجه إلى الأسلوبية البنيوية، في رأى رابح بوحوش، فهي مغالاتها في الاهتمام بالشكل وإهمالها المعنى، أي: الاهتمام بالبنية اللغوية دون الدلالة، كما أغفلت العوامل الخارجية المحيطة بالأثر الأدبي، والتي تساهم في فهمه فهما دقيقا، من ظروف ومؤثرات وما شابه ذلك. (بوحوش رابح، صفحة 41)

3 .3 الأسلوبية الإحصائية: (stylistique statistique):

ترتكز الأسلوبية الإحصائية على الإحصاء الرياضي ، لأنه منهج يحقق بعدا موضوعيا ، ويضفي على الدراسة الأسلوبية صبغة علمية ، تحد من ذاتية الناقد والدارس.

ومن الذين اقترحوا نماذج للإحصاء الأسلوبي زمب الذي أبدع مصطلح (القياس الأسلوبي)، وفحواه قيام الدارس بإحصاء كلمات النص،ثم تصنيفها بالنظر إلى نوع الكلمة،ووضع متوسط تلك الكلمات في شكل نجمة ،وهكدا تنتج أشكال ونماذج متنوعة يمكن مقارنة بعضها ببعض. (السد نور الدين ، ج1، صفحة 97 ،98)

وقد اعتمد أ. بوزيمان في الإحصاء معادلة " التعبير بالحدث والتعبير بالوصف" ويقوم هذا النموذج على "إحصاء عدد الكلمات التي تنتمي إلى النوع الأول، وعدد كلمات النوع الثاني ،ثم إيجاد خارج قسمة المجموعة الاولى على المجوعة الثانية." (مصلوح سعد، (2002)، صفحة 74)

وبناء على ذلك يحكم على أدبية النص، فارتفاع حاصل القسمة يعد مؤشرا على أدبيته وانخفاضه يقربه من العلمية.

وقد وجهت انتقادات عديدة لهذه الأسلوبية، " لأننا عندما نعمد إلى الإحصاء في دراسة الأساليب نحيل اللغة الأدبية إلى شئ بلا لون ولا طعم." (عبد المطلب محمد، (1994)، صفحة 185)

ويورد أولمان بضعة مآخذ تغض من قيمة الطريقة الإحصائية في معاينة البنى الأسلوبية " أولا: إن الطريقة الإحصائية تعوزها الحساسية الكافية لالتقاط بعض الملاحظات الدقيقة في الأسلوب كالظلال الوجدانية و الاصداء الموحية والتأثيرات الإيقاعية الدقيقة و ما إلى ذلك.

ثانيا: البيانات العددية يمكن أن تضفي دقة زائفة على معطيات أشد تعقيدا أو أصعب ضبطا من أن تسمح بمثل هذا العلاج[...].

ثالثا: ومن أكبر المآخذ على ما يسمى طريقة الإحصاء الأسلوبي أنها لا تراعي تأثير السياق مع عظيم خطره في التحليل الإسلوبي[...].

رابعا: ثمة خطر آخر في هذه الطريقة وهو أنها تقدم الكم على الكيف وتحشد عناصر شديدة التباين على صعيد واحد بناء على تشابه سطحي فيما بينها.

خامسا: ربما أفضت قائمة هائلة من الأرقام إلى نتيجة لم تكن لتخفى على العين المجردة ، أو لا تحتاج لشدة وضوحها إلى إثبات." (ألمان ستيفن، (1989)، صفحة 106 ،107)

وعلى الرغم من الانتقادات المذكورة آنفا، فسعد مصلوح يرى" إمكانية اللجوء إلى الأحصاء بهدف الوصول إلى مؤشرات موضوعية في فحص لغة النصوص الأدبية وتشخيص أساليب المنشئين." (مصلوح سعد، صفحة 74) ويردف قائلا: " إننا لعلى يقين من أنه مقياس دقيق إلى حد بعيد ،وأننا بذلك أثبتنا أن صدقه على الأدب العربي لا يقل عن صدقة على غيرة من الآداب ،كما أنه مقياس واحد متعدد الوظائف وبسيط في آن واحد." (المرجع نفسه ،المكان نفسه)

وعلى أية حال، فإن محاولة د. مصلوح في تطبيق معادلة بوزيمان لم تنظر إلى خصوصية اللغة العربية عبر ذلك الفصل القصير والسريع (الفصل الخامس من كتابه ص59 ؛ كما أنها لم تقدم المسوغات الكافية لشرعية تطبيق تلك المعادلة على النصوص الأدبية العربية [...]، إذ استبعد من الدراسة الأفعال الناقصة ؛والأفعال الجامدة ؛ و أفعال الشروع ؛ والمقاربة ؛من ناحية إحصائه لعدد الأفعال،كما استبعد من ناحية إحصائه عدد الصفات الصفات التي تقع جملة. (ناظم حسن، (2002)، صفحة 52)

3 .4 الأسلوبية النفسية أوالتكوينية (النقدية): أو (أسلوبية الكاتب):

هذا الاتجاه الأسلوبي هو ترجمة للمصطلح الأجنبي (**Stylistique Génétique**)، و ظهر ردا على الأسلوبية التعبيرية ؛ التي إعتنت باللغة المنطوقة في المقام الأول؛ ولم تول اهتماما باللغة الأدبية. وهذا المنهج في البحث على حد قول عبد السلام المسدي: " هو الذي استنفر ردود الفعل المضادة ؛ فتولد على يد الألماني ليو سبتزر Léo Spitzer (1887 – 1960) منهج أسلوبي لا مجازفة في شيء أن نصفه بتيار

الانطباعية، فكل قواعده العلمية منها والنظرية قد أغرقت في ذاتية التحليل و قالت بنسبة التعليل ؛ و كفرت بعلمانية البحث الأسلوبي. " (المسدي عبد السلام، (1982م)، صفحة 2)

وكانت الاتجاهات التي سادت في النقد الأدبي في القرن التاسع عشر قد دخلت في مأزق، بسبب عدم ارتباطها الوثيق باللغة، أو للابتعاد عن الحقول الأدبية. ونبه كارل فوسلير K.Vossler في أوائل القرن إلى ضرورة الاهتمام باللغة في التاريخ الأدبي، فلكي ندرس التاريخ الأدبي لعصر ما ،ينبغي على الأقل الاهتمام بالتحليل اللغوي بالقدر نفسه الذي يهتم فيه بتحليل الاتجاهات السياسية والاجتماعية والدينية لبيئة النص.

واستطاع ليو سبتزر أن يحول هذا الاتجاه إلى نظرية متكاملة في النقد اللغوي، ينعت بالأسلوبية التكوينية أو النقدية، و لخص نظريته و منهجه في مقدمة كتابه المهم (علم اللغة والتاريخ الأدبي)، و قد عرض سبتزر للمنهج الذي اتبعه من خلال دراسة سرفانتس Cervantès، و فيدر Fédère، و ديدرو Diderot، و كلوديل Claudel .

ونستخلص من منهج سبتزر التقاطع الواضح بين الأسلوبيتين النقدية، و التعبيرية ، ويبرز ذلك في عمل الأسلوبيتين على إبراز دور العلاقات التي تربط بين الشكل اللغوي، و التعبير الوجداني المتضمن فيه،وتتحدد نظرتهما إلى النص في البحث عن البنى المختلفة ووظائفها داخل النظام اللغوي، و يختلفان في أن الأسلوبية التكوينية، تتصف بطابعها النقدي، وبالتالي انصب اهتمامها على دراسة المؤلفات الأدبية. (عياشي مندر، صفحة 45)

وقد أثار منهج ليو سبتزر نقاشا شديدا، بدءا من الربع الأول من القرن العشرين خاصة من أتباع دي سوسير و شارل بالي، الذين كانوا يطمحون إلى تمكين قواعد الأسلوبية التعبيرية الخالصة، و من جهة أخرى فقد كونت مبادئ ليو سبتزر مدرسة أطلق عليها اسم : الأسلوبية الجديدة، ومن روادها في الولايات المتحدة الأمريكية ، داماسو ألونسو Damas Alonso ، و هاتزفيلد Hatzfeld. (دروش أحمد ، صفحة 67)

وقد وجّه نقد كثير إلى أسلوبية سبتزر، لعل من أبرزها نقد عبد السلام المسدي ،إذ يقول: " لا مجازفة في شيء أن ننعته بتيار الانطباعية فكل قواعده العملية منها والنظرية قد أغرقت في ذاتية التحليل وقالت بنسبية التعليل وكفرت بعلمانية البحث الأسلوبي." (المسدي عبد السلام، صفحة 21)

3. 5 أسلوبية العدول:

برز مفهوم أسلوبية العدول إلى الوجود في أواخر القرن التاسع عشر،فقد أطلقه "فون ديرجبلنتس" عام 1875م على دراسة الأسلوب من خلال الانزياحات اللغوية، والبلاغية في الكتابة الأدبية.ليعرف هذا المفهوم تطورا على يد " ماوروزو" عام 1931م وأصبح يعني دراسة المظهر و الجودة الناتجين عن الاختيار بين وسائل التي تضعها اللغة في متناول المبدع. (المرجع نفسه ،المكان نفسه)

أما أسلوبية الانزياح عند هنرش بليث" فتقييم على أساس المعيار النحوي " نحونا ثانويا" مكونا من صور الانزياح ، ويمكن أن تكون هذه الصور من طبيعتين: فهي خرق للمعيار النحوي من جهة، وتقييد(أو تضيق) لهذا المعيار بالاستعانة بقواعد إضافية من جهة ثانية، وقد مثل للخرق بالرخص الشعرية (مثل الاستعارة)، ومثل للتقييد بالتعادلات (مثل التوازي)."(هرنش بليث، (1999)، صفحة 57 ،58)

واللافت للنظر أن مفهوم العدول يختلف من باحث إلى آخر، ويعد من المصطلحات الشائعة بكثرة في الدراسات الأسلوبية المعاصرة ، ويعد علما قائما بحد ذاته عند النقاد الغربيين، وقد خصه (جون كوهين) بحديث طويل في كتابة " بنية اللغة الشعرية" الذي ظهر سنة1966م ،" بحيث أثار فيه ثنائية المعيار la norme / الانزياح L'écart مستمداً هذه المفاهيم من الأسلوبية الشائعة في فرنسا أسلوبية شارل بالي، شارل برونو، ماروزو، كيرو وسواهم من الذين يعدّون الأسلوب انحرافاً فردياً بالقياس إلى القاعدة. وقد استلهم جان كوهين المفهوم ليعني به ظاهرة فردية خاصّة بأحد الكتّاب أو بأحد المبدعين، أي هو انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وحدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، يمكن بواسطته التعرّف إلى طبيعة الأسلوب الأدبي، ويمكن كذلك اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته " (بوخاتم مولاى علي ، (2005)، صفحة 272 ،273) ، ثم إنّ جان كوهين يحسب المصطلح أكثر المفاهيم استعمالاً في مجال النقد السيميائي، فقرنه بلفظ آخر هو الانحراف (Dérivation) قريباً من دلالة مصطلح الانزياح، على اعتبار أنّ ليوسبتزر هو القائل بهذا المفهوم." (المرجع نفسه، صفحة 273)

وليس ببعيد من لفظ الانزياح ، نجد شارل بالي يستخدم مفهوم العدول : " و يقع من الكلام على محور اختياره، إذ يحدّد الحدث الأسلوبي عنده بالغياب وذلك بإحلال ظاهرة لغوية عاطفية محلّ أخرى عقلية منطقية من دون إخلال بالمعنى." (المرجع نفسه ، المكان نفسه)

و الظاهر أن مصطلح العدول كثير التداول في تراثنا العربي القديم عند البلاغيين والنقاد والنحاة ، دار هذا المصطلح في مباحثهم بمعنى " العدول عن النمط المألوف على حسب مفهوم أصحاب اللغة متمثلين الظاهرة في كونها تمثل الطاقات الإيحائية في الأسلوب" (المرجع نفسه ، المكان نفسه)؛ وفي الدراسات العربية المعاصرة، يعد عبد السلام المسدي أول من استخدم مصطلح الانزياح ، ولقد ترجمه عن

اللفظ الفرنسي (écart) و عنى به مرة التجاوز، ومرة أخرى العدول ، وأبرز في الفصل الخامس من كتابه " الأسلوبية والأسلوب" أهمية الانزياح في الدراسات الأسلوبية، وذكر مصطلحات أخرى لها علاقة بالانزياح من مثل : التجاوز (L'Abus)، الانحراف (Dérivation) الاختلال (distorsion) الإطاحة (Subversion) المخالفة (L'infraction) الشناعة (Scandale) ثم الانتهاك (Le viol)؛ أما محمد العمري ففضل لفظ الانزياح، وقسمه إلى ثلاثة أقسام : " انزياح في التركيب، وآخر في التداول، وثالث في الدّلالة أي العلاقة بين الدليل والواقع، ثم عدّ المصطلح إجراءً لغوياً يجد بعداً مهمّاً في التراث البلاغي العربي، شأنه شأن المجاز والعدول والتوسّع" (بوخاتم مولاى علي ، صفحة 274) ؛ ونرى عبد المالك مرتاض عند تحليله لقصيدة " أشجان يمانية " يعطي تعريفا محددا للانزياح بأنه المروق عن المألوف في نسيج الأسلوب بخرق التقاليد المتواضع عليها بين مستعملي اللغة."

وفي الجهة الأخرى للمصطلح، اضطرب المعاصرون أشدّ الاضطراب في نقل مفهوم الانزياح إلى اللغة العربية، فاجتهد كلّ باحث في محاول الوصول إلى إيجاد بديلٍ عن لفظة الانزياح. فجاءت مصطلحاتهم تمت بصلة للتراث وأخرى مستحدثة. من ذلك أن قال صلاح فضل بالانحراف، وميشال جوزيف شريم، وسعيد علوش بالفارق، ثم محمد بنيس بالبعد، ويمنى العيد بالتبعيد، واعتدال عثمان بالفجوة.

وأجمع جل الباحثين على أنّ المصطلح أسلوبي مستحدث، يحمل مفهوم قديم يرتدّ في أصوله إلى أرسطو وإلى من تلا أرسطو من بلاغيين ونقاد، أخرهم جان كوهين وسابقيه." (المرجع نفسه، صفحة 275)

ومن المآخذ التي أخذت على أسلوبية الانزياح ،" عدم تحديدها للمعيار و الانزياح تحديدا مباشرا دقيقا وإهمالها لمقولتي الكاتب والقارئ ، وعدم أخذها بعين الاعتبار لاحتمال وجود انزياحات غير ذات أثر أسلوبي (مثل " الأخطاء" النحوية) ، والعكس أي وجود أثر أسلوبي (بالنسبة القارئ) دون وجود انزياح... و على رغم من كل الاعتراضات تحتفظ أسلوبية الانزياح بقيمة استكشافية في توضيح الخصائص الأسلوبية."(هرنش بليث، صفحة 58)

4. خاتمة:

هذا عرض معتصر للمسار الكرونولوجي للأسلوبية عند الغرب و العرب ؛ وقد اشتمل مقالنا على تمهيد للموضوع المعالج، وتطرق بالتفصيل إلى نقطتين أساسيتين هما: تعريف الأسلوبية عند الغربيين

أولا؛ ثم عند العرب ثانيا؛ وحلل الاختلاف الحاصل في تسمية العلم عند العرب؛ وبحث عن أسبابه، ثم تطرق إلى اتجاهاتها عند الغربيين والعرب على السواء؛ وعرض الانتقادات التي وجهت إلى كل اتجاه.

وقد أبرز المقال فوضى المصطلح الأسلوبي ؛ فالإختلاف تمَّ حتى على مستوى تسمية العلم ذاته ، و لكل جهة مبرراتها العقلية والمنهجية والعلمية ؛ و قضية المصطلح شائكة في الدراسات العربية ، أسالت الكثير من الحبر ، و ربما يعود ذلك أساسا للترجمة من مصادر مختلفة ، وبلغات متباينة، والوضع يحتم على الباحثين العرب ضرورة التكاثف لتوحيد المصطلحات اللسانية والنقدية المعاصرة الوافدة إلينا من الغرب، يضاف إلى ذلك التضارب الواضح في في تقسيم المدارس الأسلوبية عند الغربيين والعرب على حد سواء، وكثرة التسميات عند العرب خاصة لمسمى واحد؛ مما يشوش على متلقي هذا العلم ذهنه ويفقده تركيزه.

5. قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

1. ابن ذريل،عدنان، (1980)، اللغة والأسلوب، دمشق ، سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
2. ألمان، ستفن، (1989) ، إتجاهات جديدة في علم الأسلوب،،(ضمن كتاب إتجاهات البحث الأسلوبي، ط 1 ، مكتبة زهراءالشرق.
3. بليث، هنرش ، (1999م)،البلاغة والأسلوبية – نحو نموذج سيميائي لتحليل النص– ، تر: د. محمد العمري ، ط 2، أفريقيا الشرق ، المغرب.
4. بوحوش، رابح ، (د.ت)،الأسلوبيات وتحليل الخطاب،عنابة، منشورات جامعة باجي مختار.
5. بوخاتم، مولاى علي،(2005م)، مصطلحات النقد العربي السمياءوي – الإشكالية والأصول والامتداد 2003 /2004– دراسة، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
6. الحربي، فرحان بدري: الأسلوبية في النقد العربي الحديث – دراسة في تحليل الخطاب–، ط1 ، بيروت ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
7. حسن، ناظم، (2002) ، البنى الأسلوبية – دراسة في أنشودة المطر–، ط1، الدار البيضاء ، المغرب، المركز الثقافي العربي.
8. خفاجي، محمد عبدالمنعم، فرهود، محمدالسعدي، شرف،عبد العزيز (1996)،الأسلوبية والبيان العربي، ط1 ،الدار المصرية اللبنانية.
9. السد، نور الدين (1997) ، الأسلوبية وتحليل الخطاب، الجزائر، دار هومة.
10. مصلوح، سعد (2002)،الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ، ط3 ، تونس، علم الكتب.

11. شريم،جوزيف ميشال،(1987)، دليل الدراسات الأسلوبية، ط2، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع.
12. عياشي منذر،(1990)، مقالات في الأسلوبية، ط1، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.
13. فضل، صلاح، (1998م)، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، (ط1، القاهرة، دار الشروق.
14. فضل، صلاح، (2002م) ، مناهج النقد المعاصر، المغرب ، أفريقيا الشرق.
15. قيرو،بيار، (1994م)، الأسلوبية ، تر: منذر عياشي ، ط2، دمشق ، مركز الإنماء الحضاري.
16. عبد المطلب ، محمد ، (1994م)، البلاغة و الأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، القاهرة، دار نويا للطباعة.
17. المسدي،عبد السلام،(1982م)، الأسلوبية والأسلوب، ط3، تونس، الدار العربية للكتاب.
18. وغليسي، يوسف (2007)، مناهج النقد الأدبي ، ط1،المحمدية ،الجزائر.

- **المقالات:**

1. درويش،أحمد، الأسلوب والأسلوبية مدخل في المصطلح و حقول البحث و مناهجه، مجلة فصول، م 5، ع 1، 1984، ص 60.